الباب الثالث

عيوب الفكر

obeikandl.com

obeikandl.com

تعد معرفة ساحة عمل الفكر أولى جماليات هذا المنهج التي أضفاها على العقل، وقد لا نشعر بقيمة ذلك إلا عندما نتعرف على الضياع الذي عاش فيه الفكر الإنساني ويعيشه في كثير من بقاع الأرض إذ يخبط خبط عشواء غير متبين الطريق وغير عارف لحدود مهمته، وقد جرَّ ذلك الويلات العظام على بني الإنسان.

وللوصول بالعقل إلى جمالياته نطبق السمات العامة لجماليات المنهج:

(١) السلامة من العيوب: قبل البحث عن أي جمال، لا بد من التأكد من السلامة من العيوب، وقد بذل الإسلام جهده في تخليص الفكر من كل ما يعيبه، وحرره من كل ما يعيق حركته حتى وصل به إلى التحرر، وهو فى حد ذاته سلامة من العيوبولكن بعض الشوائب قد تتسلل أحياناً و وحرصاً على النظافة الكاملة كما هو شأن الإسلام دائماً فقد عالج المنهج هذه الشوائب ونفاها نفياً تاماً.

والعيوب هنا، أو الشوائب، هي تلك الخرافات والأساطير والشعوذة والوهم التي تأخذ مساحة لا بأس بها من حياة الأمم والشعوب، حتى ذهب بعضهم إلى اعتبارها جزءاً مهماً من كل حضارة خاصة الحضارة الإغريقية.

وقد ظلت هذه الشوائب مهيمنة على التفكير وما زالت في كثير من الأمم والشعوب التي لم يحررها الإسلام، ذلك أنها مرتبطة بغريزة التدين، لذا كانت لها هذه السلطة القوية، التي عن طريقها نفذت إلى العقل

فعطلته، وليس هناك سلطة أقوى من سلطة الدين في الهيمنة على العقل وهي السلطة نفسها التي استعملتها الكنيسة في تعطيل العقل أو تقييده وعن هذا الطريق وجدت تلك المعميات طريقها إلى الفكر،لكن المنهج الذي حث العقل على العمل، عرفه طريق الإيمان الحق وبذلك قضى على جميع الأوهام.

إن إعلان الإسلام نفسه إعلان للتخلص من تلك العيوب وما كلمة التوحيد إلا تعبير عن النظافة الفكرية والمعنوية، فكلمة لا إله إلا الله تنفي كل تلك الآلهة المزيفة لتثبت الإله الحق إنها نظافة وأي نظافة، تصاحبها نظافة في الظاهر، وبهذا يكمل التناسق ويتحقق الجمال.

جرائم الفكر

لعلَّ أخطرَ الجرائم على الإطلاق هي تلك الجرائم التي تمارَس مع الشعوب والأمم، ونعني بها تلك التي تمارس مع الوعي والفكر البشري، ووجهُ خطورتها أنّ ضحاياها ليسوا أفراداً معدودين، بل ضحايا هذا النوع من الجرائم أممٌ وشعوب بأسرها، وهذا بعينه هو الفرق بين الجاهلية القديمة ذات الطابع الأمي البدائي والمحيط المحدود، وبين الجاهلية الحديثة ذات الطابع العلمي الحديث، القائم على تكنولوجيا الأقمار الصناعية،وأجهزة الاتصالات والإنترنت،والفضائيات، وغيرها من الوسائل الجماهيرية ذات التأثير العالمي الكبير والواسع.

وللتفريق بين جرائم الأخلاق -التي ربما تُرتكب في جنح الظلام، وعلى خوف أو استحياء وبين جرائم الفكر التي تُرتكب في وضح النهار، وعلى مرأى ومسمع من الملايين، فكم سمعت واستجابت أممٌ وشعوب لصرخات العلمانيين واللبراليين ودعاة التغريب، الذين يروّجون لأفكارهم وعلى أوسع نطاق، بلا حياء ولا خجل، فكانت النتيجة أرقاما مفجعة، وجرائم مخيفة، ودماراً شاملاً رهيباً حاق بهذه الأمم، وما كانت لتقع هذه الجرائم لولا أنها وجدت قبولاً فكرياً ونظرياً وعملياً لدى البعض، وصمت عنها العقلاءُ والحكماء ونخبُ الأمة وسادتها.

ففي بعض بلدان الجزيرة والخليج، تغاضى البعض عن بنوك الربا، وشركات الأسهم، إلا نفراً قليلاً من العلماء والحكماء ظلّوا يرددون حرمة الربا، ويحذرون من شركات الأسهم، المجهولة الأهداف والمرامي، والمجهولة المصادر والانتماء، وفي وسط هذه المعمعة والفوضى، تأتي الطامة الكبرى، فيتحول شعب من شعوب المنطقة من غني وثري ربما على مستوى العالم، إلى مستوى من الفقر والحاجة والعوز، وخسر المليارات من ثرواته وأمواله ومدخراته، وما كان هذا ليقع لولا جرائم الفكر، واغتيال الوعي، الذي يمارس على الضمير العربي المسلم.

لقد وجدتُ أحدَهم يبكي دهره وزمانه، لقد خسر في هذه الأسهم أكثر من ١٣ مليون ريال، وآخر خسر كل ثروته وماله ومدخراته، ووصل حجم الكارثة حتى إلى العامة وصغار الموظفين ممن باعوا كل ما يملكون

من ذهب ومدخرات قليلة، أملاً منهم في توديع الفقر، واستقبال غد أكثر إشراقاً وجمالاً، في حين حُمل البعض منهم إلى المصحات والمشافي، ومنهم من وافته المنية من جراء سكتة قلبية، أودت بحياته.

في الوقت الذي ينادي العلمانيون بخروج المرأة والاختلاط والتفسخ، نرى الغرب وهو على نصرانيته بدأ يتراجع عن هذه البهيمية، ففي قلب أمريكا هناك أربع مدارس يقوم التعليم فيها على أساس عدم الاختلاط بين الجنسين، ومن الطريف في الأمر واللافت للنظر أن هذه المدارس الأربع مخصصة لعلية القوم من التجار والدبلوماسيين وأساتذة الجامعات والطبقة الراقية والمثقفة في المجتمع الأمريكي، وبدأت كثير من القيادات الواعية في الغرب تدعو إلى التعليم غير المختلط، وتدعو إلى حق المرأة في القرار في البيت والتفرغ لتربية الأطفال، والعناية بالزوج والبيت والأولاد، على الطريقة الشرقية، حتى قالت دراسة غربية أجراها مركز ستارش البريطاني للأبحاث العالمية: إن السعوديات أكثر البنات دلالاً على مستوى العالم، حيث يحظين بالخدمة من الجميع، ويتسابق كل من في البيت لخدمتها وإسداء الجميل لها، بالإضافة إلى أنهن لسن بحاجة للعمل فمصروفهن متوفر لهن من أولياء أمورهن دون الحاجة للعمل إن نساء العالم إذن يحسدن المرأة المسلمة على ما هي عليه من دلال ونعيم وتكريم.

هذا في الوقت الذي يتبارى فيه المعتوهون من العلمانيين لجرّ المجتمع

الإسلامي إلى ثقافة تنكّر لها أصحابُها، وباتوا ينادون صباح مساء بخلافها، ونسمع بين الفينة والفينة عن المظاهرات العارمة بعودة المرأة إلى البيت والسكن فيه، بعيداً عن المصانع والشغل المهين في البيوت وأعمال الحدادة والبويا والميكانيكا الأمر الذي أفقد المرأة أنوثتها وكرامتها وجمالها.

إن أعظم جناية وجرم يمارَس على الضمير المسلم المعاصر هي جرائم الفكر وتزييف الوعي، ومخادعة ملايين البشر، وسَوْق الملايين من القطعان البشرية بسوط التضليل والخداع والتزييف والغش المفضوح والمكشوف، فهل آن الأوان لأن نفرّق بين الحق والباطل، وبين الحقيقة والزيف، وأن نتصدى لهذه الجرائم الفكرية التي يريد منها أهلها أن يلقوا بالمجتمع المسلم في الهاوية السحيقة؟.

حينما يتأزم الفكر

رحم الله العالم فلان بن فلان وتلاميذه، وغفر الله لذلك المفكّر وذلك الداعية ومقلّديهم؛ فلقد عانوا في مقتبل حياتهم العلمية والدعوية الأمرَّين على أيدي مناوئيهم ومخالفيهم كيدًا ووشاية، وملاحقة وتضييقًا، وسجنًا وتعذيباً،وتسفيهاً لفكرهم، وطعنًا في سُمعتهم، حتى إن المتأمل المُنصِف ليَكاد يذوق مرارة تجربتهم سنين طويلة بعد رحيلهم في بعض نتاجهم الفكري وبعض اجتهاداتهم، وينظر العلماء المحقّقون لنتاجهم، فيُجلون

صبرهم وصمودهم، ويقدِّرون أثرهم وعطاءهم، ويأخذون عنهم ويتركون، كما أنهم يجدون لأخطائهم الاجتهادية وشطحاتهم الفكرية بعد بيانها العذرَ تِلو الآخر، فلقد تركت الأزمات التي كابدوها وهي ليست بالهينة بصمات واضحة على بعض فِكرهم، وشكَّلت جانباً من ثقافتهم، ووجهت بعض سلوكهم واجتهاداتهم،وتعدَّى أثرُها أشخاصَهم إلى مقلِّديهم فكرًا وثقافةً وتوجهاً وسلوكاً.

عذاب ومعاناة ومحنة وأزمة، يمر بها فرد أو جماعات، فتُنتج فكرًا متأزمًا أي: وليدًا من الأزمة ويشكِّل الفكر المتأزم ثقافة متأزِّمة، ويولد من الثقافة سلوكٌ وترجمة عملية متأزمة، ويستمرُّ هذا الفكر المتأزم بعد زوال الأزمة الأولى، يَحمله وينشره ويبني عليه أجيال من المقلِّدين والمُعجبين والمتحمِّسين، ويَكمن الحرج في المسألة حين يخلط البعض في نسبة بعض السلوك المتأزم المرجوح أو الخاطئ، فلا يَنسبون السلوك المتأزم إلى الفكر المتأزم والأزمة التي وُلد من رحمها، ولا يتأملونه أو يفهمونه في سياقها، بل إنهم ينسبونه خطأً وتعجلاً للدِّين، والدين من بعضه أو كله براءٌ كما يُقرِّره السادة العلماء.

إن ظاهرة الفكر المتأزم ليست مقصورة على بعض أهل الإسلام، لكنها ظاهرة إنسانية عامة، ولقد لوحظت في كثير من الأمم والأديان، وما حال أزمة أوروبا ومصادماتها مع الفكر الكنَسي ببعيدة عن أذهاننا، وما حاضرُهم بشتى جوانبه إلا ثمرات لتلك الأزمة.

إن مبحث الفكر المتأزم في الدول الإسلامية بالغُ الخطر، وجدير بالنظر والبحث المستقل، والتبيين من لدن علمائنا الربانيين والمجالس العلمية والفقهية المعتبرة والمستقلة، ويُفيد هذا المبحث الجليل في دراسة أصل بعض السلوكيات الفردية والجماعية في أمتنا الإسلامية، ونسبة ما يَستحق منها إلى الفكر المتأزم، ويتلو ذلك محاولة تعديل السلوك المتأزم بالعودة إلى أصوله وجذوره الفكرية المتأزمة، وبيان مدى بُعده وانحرافه عن الدين الصحيح ومقاصده العليا.

ليس هذا مقام عرض أمثلة للفكر المتأزم، وهذه لعمري قضية لا يُحسنها العامة وغير المختصين؛ فهي مهمة العلماء المجتهدين، لكننا نشير إلى عموم الظاهرة؛ لأن البعض من المهتمين قد يغفلها حين تقييم السلوكيات بغرض علاجها، وهذا خلل منهجي كبير، كما أن تصحيح السلوك المتأزم لا يفيد فيه الوعظ والنصح واللوم، ولا يستقيم إلا بالكشف عن أصله الفكري المتأزم، وبيان عَواره وخلله.

ومن نافلة القول أنَّ الفكر المتأزم لا يُصلحه فكر متأزِّم آخر، أو فكر نفعي مسيَّس أو موجَّه، فمن أسباب صمود واستمرار بعض الفكر المتأزم ونتائجه: البُعدُ عن القسط والحكمة في التعامل مع أهله، وقديمًا قالوا أن المنع (المتأزم) غير المُقنع لا يثمر إلا مزيدًا من العناد والتأزم.

الشخصيات الضالة من إفرازات الفكر المنحرف

هذا النوع من الشخصيات في الأمة الإسلامية يمثل شريحة متميزة، تكاد تكون كلها من الشباب، وهي فئة ليست أقل ذكاء من غيرها من فئات المجتمع الأخرى، إن لم تكن هي من الأكثر ذكاء وثقافة، وتضم تحت لوائها طاقات عظيمة وهائلة ومتنوعة في شتى جوانب الحياة، وهي قادرة على الاضطلاع بمهام عظيمة في الأمة، التي فيما لو أوكل لها ما هي قادرة عليه وما تشتهيه، وما يتوافق مع مواطن إبداعها، لقامت بأعباء الأمة كاملة تامة، ولأبرزت في الأمة في بضع سنين ما تعجز عنه شعوب الدول الأوروبية والأمريكية وغيرها في عقود .

لقد فقدت الأمة الإسلامية هذه الفئة الضالة من الشباب، بحكم ما نُقل لها من فكر منحرف وإسلام هجين، في المدارس والجامعات وغيرها، وبما تتمتع به هذه الفئة من ذكاء، فهي لم تقتنع بما نُقل إليها من إسلام، ولم تؤمن بصحته وصلاحيته للنهضة والتطور والرقي والعمران، ففي باطن الفكر الذي نقل إليها، ترى وتشعر أن ما نقل إليها تستحيل النهضة به، وترى أن ما نُقل إليها من إسلام، كما هو الآن، إنما هو أفضل الطرق للتخلف والانحراف والضياع .

بعض من ينتمي لهذه الفئة الضالة، لم يُشغل نفسه يوماً بموطن الداء، وأخذ الحياة كما هي معروضة له، وبعضهم ظن أن الداء يكمن في

الإسلام نفسه، حتى أن تاريخ نهضة المسلمين قد يكون مكذوباً أو مغلوطاً،ونهضة المسلمين ليست منطلقة من فكر الإسلام ورُقيّه،إنما هي مقترنة بذكاء وعبقرية بعض الخلفاء أو أحدهم،،وبعض هؤلاء الضالين يقول أن الإسلام في ظاهره وباطنه صحيح، إلا أنه يظن أن الإسلام لا يتلاءم مع الواقع الجديد والتطورات العلمية والنهضة العمرانية الحديثة، أو يظن أن الإسلام لا يستطيع أن يسير بخطى تكافئ التطور الحديث، أما باقي هذه الفئة الضالة فقد فتنهم ما وصل إليه الغرب فنبهروا به إلى جوار الفكر الغريب الذي يتلقونه عن الإسلام أنه دين الصلاة والصيام والشعائر التعبدية، المجردة من أي نظام للحياة .

لقد كان لهذا التحريف الفكري أثره على أهم فئة من فئات الأمة الإسلامية، ومنها المُحبة للعلم، فجعلها تفقد ثقتها في الإسلام أو في تعلمه أو في التعامل به أو معه، فلا خير في دين لا يُنهض أصحابه ولا يُعزهم،ولا يجعلهم يقودون الأمم والشعوب، ويجعلهم يقتتلون مع بعضهم البعض، ويجعلهم من أفقر شعوب الأرض، وأسفههم، وأقلهم علماً وخلقاً وأدباً،وأقلهم نهضة وأي دين هذا الذي يجعل أصحابه أكثرهم عبودية للغرب والشرق، ولأوامر الغرب، ولزراعته وصناعته وخضوعاً لعسكره، فأي دين هذا الذي يستحيل العيش به وبأفكاره؟ وتستحيل النهضة به؟ ويستحيل الاحتماء به؟ بالتالي تخلى هؤلاء الشباب من الفئة الضالة عن

ما هو غير مقنع، كما يبدو لهم في الإسلام البعيد عن أصوله وفروعه، فبقي بعضهم على العقيدة المزيفة، المليئة بالثغرات كما نُقلت لهم، وتبنى آخرون مفاهيم من غير الإسلام ليستطيعوا العيش بها، حتى ولو كان أصلها من غير عقيدة الإسلام، وسلك آخرون مسالك غربية أو شرقية، لا يسألون عن أصلها أو موافقة الشرع عليها، حتى لم يتبق عندهم إلا بطاقات التعريف وجوازات السفر، مسجلاً فيها الدين الذي ينتمون أو كانوا ينتمون إليه.

وهكذا نشأ في الأمة هذه الفئة من الشخصيات، التي لم تعد تعرف منهم أو ترى فيهم ما يدلل على إسلامهم، بل وكثرت الظواهر الغريبة فيهم، كالجهر بالزنا والفواحش، والجهر بالتبرج والتعري، والتفاخر بالأحساب والأنساب والأوطان قومية ووطنية، وتفشي ظاهرة الخمر والمخدرات فيهم، وتفشي ظاهرة السرقة والنهب والغش والخداع، وأكل المال بالباطل، وتفشي ترك الصلاة والصيام والعبادات وقراءة القرآن، وتفشي ترك القرآن ودراسته والعمل به والدعوة إلى ما فيه، وأقل هذه الفئات سوءاً من لا تجد فيهم أو منهم من يتعامل بمقياس الحلال والحرام، ولا يعترف بشيء كهذا قليله أو كثيره.

الشخصيات الضالة لم تحظ في الحقيقة ولم تجد ما حظي به شباب المسلمين، منذ تاريخ الإسلام حتى عهد قريب من احترام وتشجيع ودعم

ومساندة وتوظيف للطاقات،وتوظيف للأموال والرجال والثروات، لتُسخرها لهم ولاختراعاتهم وابتكاراتهم وإنتاجهم، بل وجدوا خلاف ما يجب، وهو محاربتهم ومحاربة ظهورهم وتكميم أفواههم وكبت طاقاتهم، وأبواباً موصدة أمامهم، وأمام علومهم وإبداعاتهم ومن هؤلاء الشباب من أحب طلب العلم والعمل به في المجالات المتطورة، وأحب إطلاق عنان إبداعاته الصناعية والزراعية والتكنولوجية والاقتصادية والسياسية وغيرها، فنظر حوله فلم يجد إلا نوافذ وأبواباً مفتوحة على أوروبا وأمريكا وروسيا وغيرهم، هُيّئ فيها من الاحترام والتقدير والأموال والأمن الشيء الكثير مما افتقده في بلدان المسلمين، حتى بات كثير من شباب هذه الفئة الثمينة كنوزاً ظفر بها أعداء الأمة الإسلامية من الأوروبيين والأمريكان وغيرهم.

وللأسف، فهذه الشريحة من الشباب وطاقاتها العظيمة تمثل شريحة واسعة في الأمة، يتحمل إثم ضياعها حكام بلدان المسلمين، الذين يحكمون بالكفر ويبددون طاقات الأمة وثرواتها، يعينهم على هذا الإثم علماء السوء وأساتذة الجامعات والمدرسين بكافة أصنافهم والمفكرين الضالين، وبكافة ما ينقلونه من دين مُحرّف لأبنائنا وشبابنا كافة.

أزمة الفكر(الانسان) العربي في زمن التحولات الكبرى

يعيش الإنسان العربي في هذا الزمن وسط معمعة التحولات الكبرى التي تحاصره في ذاته وتترصّده في محيطه الصغير وبيئته الكبرى هذا الانسان الذي ظلّ ردحا طويلا ينتظر ويتأمل تحقيق طموحاته وتحسين معاشه يجد نفسه اليوم في حالة غربة حضاريّة وفكريّة جراء التيه الفكري الذي قادته اليه موجات عنيفة متتالية من التضليل العبثي التي تعهّدت بثّها الفرق الخادمة لمغامرات المتصارعين على السلطة ومن السلطة مع ذاتها وخصومها وبعض الواقع العربي الذي تعرضه الشاشات وكثير مما لا تستطيع عرضه اليوم يؤكد ذات الحالة ويقدم للأجيال الجديدة صورة كالحة المنظر لمصير كان جميلا وهو في علم المجهول.

وهكذا حينما يخرج الانسان العربي اليوم الى الشارع متسائلا ومحتجا او حتى باحثا عن لقمة العيش يجد نفسه مطوّقا بالشعارات المعلقة على الجدران أو ملاحقا بها من خلال مكبرات الصوت والشاشات الراجمات لكل فتنة وما يثير الهموم أن كثيرا من مسائل الصراع العربي- العربي لم تعطل التنمية فقط بل عطّلت الفكر العربي عمّا ينبغي أن يتصدى له من مهام ومن أبرزها المساعدة في الخروج من حالة الشلل الحضاري وتحويل موارد ومقدرات الأمة الى أدوات وعناصر إنتاج وبناء.

الواضح أن أمناء الفكر العربي أهملوا أدوارهم الواجبة وانشغلوا وأشغلوا في مهام الابداع في خطب التسويف وقصائد التبرير والبلاغة في اصطناع التحديات التي تواجه (الشعب) والأمة! وفي حين مضت كثير من شعوب الأرض في تنظيم شؤونها وصناعة أدوارها الحضاريّة قعدت الشعوب العربيّة تتابع الأحداث ثم هي إن انفعلت انطلقت هاتفة في مسيرات بالروح بالدم وراء هذا الملهم، وذاك التاريخي هي هي أزليّة البحث عن الحل في غير مكانه وبذات أدوات الفشل التي تتكرّر في كل زمن وصقع عربي والنتيجة أن الانسان العربي حينما يتلفّت فإنه يرى من حوله كيف سارت حظوظ الشعوب التي حسمت مسارات علاقتها مع المختلف والمتفق معها، ووضعت الأطر القانونيّة والأخلاقيّة لنظام حياتها فيتحسّر على حاله ومآله هو يرى كيف نظّم الغرب مثلا علاقات شرائحه فأعطى الفرد حريّة ومنهج المشاركة، ومنح المجتمع حق محاسبة وتقويم المسار من خلال المجالس والجمعيات والاتحادات والجميع يحتفون بالفكرة ويحتفلون بالنتيجة وحينما يفكر ويراقب الانسان العربي نتائج استيراد بعض هذه التجارب الإنسانيّة وكيف لم يخرج التطبيق العربي في أحسن حالاته عن مأساة مأسسة الفوضى وتكريس العصبيات والانتماءات التي شرعنت لكل فصيل وتيّار فرصة التربّص بخصومه منتظرا ساعة التصفية وباسم الشعب في كل مرّة في ثلاث سنوات عربيات عجاف انكشف عمق الفشل العربي حتى في تقليد

نماذج إنسانيّة مكشوفة المدخلات مرصودة المخرجات نعم لم ينجح أي تجمع عربي باسم الديمقراطيّة أو حتى بعنوان مجلس منتخب في تكريس فكرة الاجتماع من أجل الوطن أو تعزيز وحدة المجتمع، أو حتى رسم صورة أكثر أمناً لمستقبل أجيال لا تعلم اين تسير بين ضجيج أصوات تدعوها للموت وأخرى تدعو عليها بالموت.

أسباب أزمة الفكر الإسلامي في هذا العصر

الباحث في أحوال الأمة الإسلامية اليوم لا يصعب عليه معرفة ما هي عليه من تخلف حضاري، وهوان سياسي، ومعانة إنسانية، رغم كل ما تتمتع به من إمكانات بشرية ومادية، وما تمتلكه من قيم دينية و مبادئ سامية والأزمة التي يعاني منها العالم الإسلامي اليوم ليست بسب فقر في القيم التي أكملها الله، وتعهد بحفظها في الكتاب والسنة، إنما المشكلة تكمن في العجز عن التعامل مع هذه القيم ،وغياب الإنتاج الفكري فالعقل المسلم أصبح اليوم عاجزاً عن التعامل مع ما حوله وفق القيم التي ورثها عن دينه، وفقد القدرة على تنزيلها على الواقع، حتى توهم البعض أنها أزمة قيم وأي تشخيص دقيق للأزمة التي تعيشها الأمة الإسلامية اليوم تقتضي تحديد أسباب العجز ومواطن التقصير، واستقراء التاريخ لأنه المصدر الأساسي للفقه الحضاري .

وأهمية دراسة هذه الأزمة يعود إلى أن غالب ما تعيشه الأمة من أزمات سببها الأزمة الفكرية المعاصرة، وسائر الأزمات هي نتيجة لها أو مظهر من مظاهرها أو انعكاس لجانب من جوانبها وحقيقة هذا الدين هي اتباع الرسل عليهم السلام الذين لم يأتوا بتعطيل العقل والفكر بل حثوا على التدبر والتفكرحتى أصبح للنص الشرعي حق السيادة في حياة المسلم، أن هذه السيادة لم تتبوأ هذه المكانة في حياته إلا بإيجابية الفكر الذي حث عليه الإسلام في ظل الحرية الفكرية فحياة الرسول ص قبل الهجرة ليس فيها مدافعة أو حمل سيف، إنما قضاها في التبسط لما تتطلبه حرية الفكر من حوار ونظر واستدلال، حتى مكث في مكة ثلاث عشرة سنة على هذا الأمر ،وآيات السور المكية أكبر شاهد على ذلك والحرية الفكرية التي يدعو الإسلام إليها هي الحرية المعقولة فهي ليست حريةً لشهوة الجدل إنما حرية للحق حتى يظهرلذا فقد أوصى الله سبحانه وتعالى نبيه ومن معه بأن يجادل بالتي هي أحسن،ولا مجال للمجادلة وطلب البرهان إلا في ظل الحرية الفكرية.

لذا فلنصوص جاءت في الحث على ذلك قال تعالى (كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون)، وغيرها من النصوص القرآنية التي جاءت حاثة على إعمال الفكر وعدم تعطيله وعند تتبع هدي المصطفى ص نجده يفتح لأصحابه باب التفكير والاجتهاد ويجعله منهجاً للامة من بعده ففي حادثة

إرساله معاذا إلى اليمن نجده ص حينما سأل معاذ بماذا يفتى قال بكتاب الله ثم بسنة رسول الله، وإذا لم أجد اجتهد فيهم رأيي فلما سمع جوابه ص حمد الله وأثنى عليه إعجاباً بما سمعه من معاذٍ رضي الله عنه بل كان الرجل من أصحابه يأتي إليه ويسأله عن الأمور العظيمة في الإسلام فيجيبه على مسألته ولا يعنفه وعندما اختلف الصحابة رضي الله عنهم في إقامة صلاة العصر حينما كانوا متجهين إلى بني قريضة، فصلى بعضهم في الطريق والبعض الأخر صلاها في بني قريضة بعد خروج وقتها لم يعنف أحداً من الفريقين على اجتهاده بهذا استطاع المسلمون أن يبنوا حضارة فكرية عظيمة جعلت الأمم الأخرى تنهل منها،حينما أطلق للعقل عنان التفكير والإبداع، ولم يحجّر على العلماء والمفكرين، بل تم منحهم حرية التدبر والتفكير وفق الضوابط الشرعية .

من هذه الانطلاقة الواسعة والنظرة الشاملة نبغ المسلمون في كل علم وفن، وبرزوا في مجالات البحث حتى استطاعوا أن يتفوقوا على غيرهم في فترة من فترات التاريخ فعلى الأمة الإسلامية إذا أرادت أن تعود لسابق عهدها أن تفرق بين ما هو وحي معصوم يجب على المسلم اتباعه وبين ما هو اجتهاد بشري قابل للخطأ والصواب فالفكر والاجتهاد البشري لا يحملان قدسية الوحي، حتى وجد في الأمة من جعلهما في منزلة الوحي ودافع عنهما على أنهما دين الله حتى أحدث ذلك في الأمة

أمراضاً فكرية فتاكة مثل تحكم عقلية التقليد، والتغافل عن عالمية الإسلام أو إساءة فهمها.

إن الانحسار الفكري الذي يعاني منه المسلمون اليوم من أسبابه توقفهم عند ما استنتجته العقول السابقة فقط ورفض ما جاء من نتاج بعدها، حتى عُطلت القدرات العقلية التي جاءت فيما بعد.ولذا فأن اعتبار ما أنتجته العقول السابقة هو غاية الحقيقة ونهاية المطاف يعتبر حقيقة تخلف الأمة فكرياً وحضارياً، وهذا الذي جعل الأمة غثاء كغثاء السيل، و انتهى بها الأمر إلى هذه المرحلة من الانحسار الفكري، والاستفزاز والتحدي الحضاري وهذا لا يعني إن تنسلخ الأمة من تراثها الحضاري العظيم الذي خلفه لها أسلافها، لكن لابد من الاستفادة منه والزيادة فيه بما يجعله يخدم الأمة الإسلامية اليوم والجهود التي بذلت من علماء المسلمين لم تقف عند جهود من سبقهم من العلماء بل استطاعوا أن يقدموا للعصر الذي عاشوا فيه ما يدفع الحركة العلمية والفكرية إلى الأمام، وحاربوا الجمود والتقليد الذي كانت الأمة تعاني منه في زمانهم حتى أصبح الواحد منهم علماً من أعلام زمانه .

ان جدار التخلف الذي تعاني منه الأمة الإسلامية في عصرنا الحاضر اليوم أصبح سميكاً، والاستلاب الحضاري أصبح محكماً إلى حدٍ بعيد ،إلى درجةٍ يمكن أن نقول معها أن الكثير من جوانب العلوم والمعارف غادرت

منطلقاتها الإسلامية، وتخلت عن أهدافها وأصبحت خارج السياق الإسلامي إن الموقف الدفاعي الذي تتخذه الأمة قد يكون حقق لها بعض الإنجازات ولكنه أفرز الكثير من السلبيات، والتي تحتاج إلى إعادة النظر في مواقف الأمة الفكرية والثقافية، ولعل من أخطر هذه السلبيات شيوع العقلية التبريرية لدى فئة من أبناء الأمة، ومحاولة هذه الفئة إعفاء الذات من المسئولية، ورفض المراجعة لما وصل إليه حال الأمة، ونسبة الفشل والتراجع الذي أصاب الأمة إلى الغير ومسؤولية الفكر هي مسؤولية الأمة جمعا، وعلى الأمة أن تستفيد من أخطائها في الماضي حتى تستطيع أن تثبت تحضرها، وأن تقارع الأمم كما كانت في سابق عهدها.

نقاء الفكر؟ كيف يمكننا ممارسته؟

نقاء الفكر يتطلب التخلص من كل تعلقات وكراهيات الفكر لا يوجد مكان للكراهية والغيرة اليوم الناس ممتلئون بالكره والغيرة لا يمكنهم تحمل رؤية الآخرين سعداء أو ناجحين هذه إشارة لتلوث الفكر ينبغي على قلب المرء أن يكون كبيراً لتحويل الشر إلى خير وأن لا يسبب ألم لأي أحد وتحت أي ظرف هذه إشارة الى الفكر النقي لا توجد قوة فعالة أكثر من النقاء .

عناصر التفكير السليم

هل يمكن تشخيص عناصر التفكير السليم؟ نعم يمكن: عناصره ثلاثة: المعرفة العلمية، المنطق العقلي، الضابط الخُلقي من ترافد هذه العناصر الثلاثة، وتلازمها، يتشكل منهج المعرفة، ويصونُ سلامةَ التفكير ولننظر في كل من هذه العناصر الثلاثة: العنصر الأول في المنهج المعرفي هو المعرفةُ العلمية ذاتُها، أي الإحاطةُ بالشيء أو الأمر الذي نتعامل معه إحاطة موضوعية فالمعرفة في سياق تبلورها التاريخي نتاجٌ إنساني مشترك ومضمار المعرفة مفتوح أبدا أمام الاستنباط: تحققا، وتوسعا، وتعمقا، في كافة المجالات في عصرنا المعرفة تتضاعف رأسياً في الرصيد الإنساني، بفضل أبحاث جادة وجريئة يقوم بها باجتهاد دائب علماء أجلاء من مختلف الأمم في عصور سالفة كان للأمة العربية الإسلامية شأن معرفي مشهود حين أنتج علماؤها وفلاسفتها أبحاثاً رائدة على امتداد عدة قرون ثم لما انحسر المد المعرفي العربي الإسلامي أمام ممانعة أهل الكلام، تلقفت نتاجَه أمم الغرب بعملية اقتباس نشط وغزير، ثم باجتهاد ذاتي متواصل، بنى الغرب تراكمياً صرح المعرفة الذي من رحمه انبعثت الحضارة التي نعيش معطياتها وثاني عناصره المنطق العقلي به نتعامل مع العلاقات بين الأشياء والأمور: به نربط بين العلة والمعلول،بين السبب والأثر، بين التنظير والتجريب، بين الاستقراء

والاستدلال، وصولاً إلى اكتشاف الأوفق من الإمكانات المودعة في الطبيعة، واستنباط الأمثل من الخيارات المتاحة للإنسان لأجل حفظ ذاته،إنماء وعيه، وتدبير معاشه بصرامة ذهنية، وبموضوعية لا تساوم يبين المنطق العقلي الواقعَ كما هو عليه.

ثالث عناصر المنهج المعرفي الضابط الخلقي الذى يرشد الغاية والوسيلة معاً، وبذلك،يدفع الفرد والمجتمع سوياً للارتقاء مسعى الارتقاء كثيرا مايتعرض لمزالق الهوى والحمق الضابط الخلقي يحصن المسعى بتوطيد مبادئ العدل، والمساوة، وكرامة الإنسان، والشورى: المبادئُ الأربعة المؤصَلةُ قرآنيا، التي منها تتفرع جميع حقوق الإنسان عالميا، ومنها تستمد،أو يجب أن تستمد، حقوقُ المواطنة في كل دولة ذلك أنه حيثما توفى حقوق المواطنة توفى حقوق الإنسان، والعكس صحيح من بعد ذلك، الضابط الخلقي يلزمنا بالصدق دوما، وباللاعنف ما أمكن.

أثر الفكر الايجابي والسلبي على الانسان

يذكر أن هناك ثلاجه كبيرة وذات يوم دخل عامل إلى الثلاجة وكانت عبارة عن غرفة كبيرة دخل العامل لعمل ما فجأة وبالخطأ أغلق على هذا العامل الباب طرق الباب عدة مرات ولم يفتح له أحد وكان في نهاية اليوم وفي آخر الأسبوع ولأن اليومين القادمين عطلة عرف الرجل أنه سوف

يهلك لا أحد يسمع طرقه للباب جلس ينتظر مصيره وبعد يومين فتح الموظفون الباب وفعلاً وجدوا الرجل قد توفي ووجدوا بجانبه ورقه كتب فيها ماكان يشعر به قبل وفاته وجدوه قد كتب أنا الآن محبوس في هذه الثلاجة أحس بأطرافي بدأت تتجمد أشعر بتنميل في أطرافي أشعر أنني لا أستطيع أن أتحرك أشعر أنني أموت من البرد وبدأت الكتابة تضعف شيئاً فشيئاً حتى أصبح الخط ضعيفاً إلى أن أنقطع العجيب أن الثلاجة كانت مطفأه ولم تكن متصلة بالكهرباء إطلاقاً فى رأيكم من الذي قتل هذا الرجل ؟؟ لم يكن سوى الوهم الذي كان يعيشه كان يعتقد بما أنه في الثلاجة أن الجو بارد جداً تحت الصفر وأنه سوف يموت واعتقاده هذا جعله يموت فعلاً.

تأثير الأفكار السلبية على الفرد

لقد أثبتت الدراسات الحديثة أن للرسائل السلبية الموجهة إلى العقل الباطن للإنسان تأثيراً فعالاً وخطيراً على أفكار الفرد ومعتقداته وبالتالي سلوكه وتصرفاته ،فعندما يستقبل أحدنا رسائل سلبية تقلل من قدره ومكانته أو من مواهبه وأفكاره مثل : -

أنت لست أفضل من غيرك - لا يمكن أن تنجح - فكرتك غبية - هل تعتقد إنك أذكى من الآخرين - إن أحلامك مستحيلة التحقيق - ونحو ذلك كثير، فقد يستسلم الفرد لهذه الرسائل ويصدقها فتدخل إلى العقل الباطن

وترسخ فيه ثم عند أي محاولة بعد ذلك للعمل والجد والإنجاز والتميز ستظهر هذه الرسائل يقول الأستاذ عبد الدائم الكحيل : -يجب عليك أن تتخيل دماغك على أنه مجموعة من الأجهزة الهندسية الدقيقة التي تعمل وفق برنامج محدد، أنت من سيدير هذا البرنامج وهذا هو مفتاح النجاح!أما إذا لم تدرك هذه الحقيقة فسوف يُدار دماغك من قبل الأصدقاء والأهل والمجتمع والمؤثرات المحيطة بك، وستصبح إنسانا انفعالياً وغير قادر على التحكم فى ذاته أو عواطفه يقول العلماء : -إن الطفل العربي يتلقى من سن الطفولة إلى سن الرشد أكثر من ١٨٠٠٠ رسالة سلبية تختزن في عقله الباطن ثم تظهر على شكل تصرفات غير سوية لشخصية مضطربة وكم فشل الابن لأن أباه منذ الطفولة كان يقول له يافاشل لأنه لم يأخذ الدرجة النهائية في حين أخذ أقل منها بدرجة واحدة الإسلام يحارب الرسائل السلبية يقول الدكتور بدر عبد الحميد هميسه : - وقد رفض الإسلام الرسائل السلبية التي قد تأتي للإنسان من داخل ذاته أو من خارجها وتكون سببا في تثبيط همته وتقويض عزيمته قال تعالى مخاطبا نبيه ص : -

وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ وقال : - (وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) وحينما استكثر المسلمون

ما أصابهم من البلاء يوم أحد وقد كانوا أصابوا يوم بدر من المشركين ضعف ذلك فأنزل الله عز وجل في ذلك: - (أولما أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) وكذلك يبشر الله عبده بالمخرج منها حين تباشره المصائب، ليكون هذا الرجاء مخففاً ما نزل من البلاء وكان ص يغير الأسماء التي من الممكن أن توصل إلى أصحابها رسائل سلبية عَنِ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ، عَنْ أَبِيهِ ؛ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ص، فَقَالَ : - مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : - حَزْنٌ، قَالَ : - أَنْتَ سَهْلٌ، قَالَ : - لاَ أُغَيِّرُ اسْمًا سَمَّانِيهِ أَبِي قَالَ ابْنُ الْمُسَيَّبِ: فَمَا زَالَتِ الْحُزُونَةُ فِينَا بَعْدُ أخرجه البُخَارِي وفي الهجرة المباركة لما خاف الصديق على رسول الله من أذي قريش وقال لرسول الله: - لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ يَنْظُرُ إِلَى قَدَمَيْهِ لأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ رفض الرسول ص هذه الرسالة السلبية وقال له في ثبات المؤمن ويقينه بربه : - يَا أَبَا بَكْرٍ ،مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَافأنزل الله تعالى: - إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ .

أسباب تعطيل الفكر وأنتاجه عند العرب

أن الثورات العربية ناقصة للفكر وصناعتة، الفكر الحر الخالي من الرقيب والحسيب حيث تطرح الأفكار وتناقش بين الأطياف لا أن تحارب وتدان أو أن يكفر أصحابها صناعة الفكر أو أنتاجه يتطلب أرضاً حرة خصبة تتوالد فيها الأفكار وتناقش وتعاد صياغتها لتنتج جيلً يعتني بالأفكار ويتدارسها ويأخذ ما يناسبه منها لتحسين حياة الأنسان وطريقة عيشه، ورفاهيتة كمستخلف في الأرض فذلك هو الهدف والدول المتقدمة منتجه للأفكار الحرة والسبب يأتي من التجارب التي خاضتها معرفة مدى أهمية البوح بالأفكار وعدم كبتها فذلك يصنع مجتمعات أقوى فالفكر الحر قد يناقش كل مّسلم وقد يتطرق الى مواضيع حساسة جداً، ولكي نصل الى هذه المرحلة ننتج فيها لا أن نكون اتباعاً، ولا حبيسي كل قديم عفى علية الزمن ونريد أن نسبق العالم بحلم أن المسلمون سيحكمون العالم بالعدل لقد ولدنا مبرمجين على مجتماعتنا العربية أخذين الجيد والسئ، ومّسلمين بأننا كنا شئ في ما مضئ، وأننا نحاول أن نعود كما كنا من قبل بطريقتنا العنجهية المتعجرفة، إننا أقوام لا نصنع فكراً ونضع كل القيود على الأفكار بحجة العادات والتقاليد، أو الخوف من التكفير، أو لأننا ولدنا هكذا ويجب أن نظل كما نحن.

المجتمعات العربية لا تفكر لأسباب عدة من أهمها أنفسنا اولاً وثانيها برمجتنا في طريقة تعليمنا وتلقيننا في المدارس و الجامعات العربية، كل ما يهم هو أن نحفظ ما يقال لنا وإن فكرنا أصبحت قلة أدب وتطاول على معلمينا والسبب أن معلمي الجامعات العربية قلما يحصلوا على التدريب أو التطوير في أساليب التعليم الحديثة، وهي ايضاً سذاجة من يظن أنه امتلك المعرفة الكاملة، السبب الآخر هو أنظمتنا العربية نفسها، فقد صممت مناهج تجعل الطلاب أتباعاً لا مفكرين لنسخ الكتاب ولصقة يوم الأمتحان، نعم فالتفكر عندنا نحن العرب تهديد للدولة ونظامها أو تكفير وخروج عن الملة وكبت الأفكار بحجج النظام العام أو الأخلال بالمجتمع فهذا ما جعل شعوبنا العربية تثور في حلقة مفرغة بعد سقوط الطواغيت القدامى، لم تعرف ما تريد ولم تحقق اي شئ ومن تبعات كبت الأفكار أن يجعل ما يسميهم البعض علماء يسردون فتاوى في كل ما هب ودب كأرضاع الكبير، وتحريم قيادة المرأة للسيارة، وإكتشاف او إختراع دواء للإيدز ذلك في الجيش والآخر في المسجد، نحن في إنحطاط وفراغ حقيقي، والمشكلة أن أغلبنا لا يدري ولا يدري أنه لا يدري وكبت الأفكار يجعلنا في أسفل الأمم .